



Olivier Fillieule & Erik Neveu (eds).- *Activists Forever?: Long-Term Impacts of Political Activism* (Cambridge Studies in Contentious Politics), (Cambridge: Cambridge University Press. 2019), 354p.

أوليقي فيليول وإريك نيڤو (إشراف)
-مناضلون إلى الأبد؟ تداعيات النضال السياسي
على المدى الطويل (كمبريدج: منشورات جامعة
كمبريدج، 2019)، 354 ص.

يتبع هذا الكتاب الصادر مطلع هذه السنة،

2019، عن منشورات جامعة كامبريدج، -إشراف

أوليقي فيليول (Olivier Fillieule)، من جامعة باريس1- السوربون، وإريك نيڤو (Erik Neveu)، من جامعة رين (Rennes)، - الممارسة النضالية وانعكاساتها على مسارات حياة الأفراد، وذلك انطلاقاً من مقاربات مختلفة تسعى إلى رصد تجارب الأجيال التي تزعمت الحركات الاجتماعية في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته. ومن المعلوم أن الأمر يتعلق بمرحلة طبعها تصاعد المد النضالي في كثير من دول العالم، وإن تباينت المنطلقات والأشكال. وأصل هذا المؤلف الجماعي، أعمال لندوة عقدت تكريماً للوسولوجي الألماني ديتير رنخت (Dieter Rucht)، في برلين صيف سنة 2011 بعنوان: "نتائج الحركات الاجتماعية."

ويتكون هذا العمل الذي يغطي 339 صفحة، من إحدى عشرة مقالة حررت جميعها باللغة الإنجليزية، وتم توزيعها على ثلاثة أقسام، فحمل القسم الأول العنوان الآتي: "من الظلال الحمراء (أو الزرقاء) إلى الظلال الرمادية: شيخوخة مناضلي الأمس." وجاء الثاني تحت عنوان: "قمع الدولة وتجارب المناضلين." بينما عُنون القسم الأخير بـ: "المسارات الشخصية في الفترة الانتقالية. من مناضلين ضمن الحركات الاجتماعية إلى سياسيين."

واستُهلَّ الكتاب بمقدمة عنوانها: "مسارات المناضلين في الزمان والمجال"، كما ذُيل الكتاب بخلاصة جامعة حررها أوليقي فيليول تحت عنوان: "تاريخ الحياة كأداة للتموقع الاجتماعي." ويركز هذا العمل على تتبع آثار المسار النضالي ونتائجه على الجوانب الشخصية والاجتماعية للأفراد، انطلاقاً من دراسة حالات محددة. وبذلك

تتوافق أطروحاته مع التوجهات الراهنة في الدراسات النظرية للحركات الاجتماعية التي أضحت تهتم برصد مخلفات تغيير مسار الفعل النضالي على الأفراد.

وتوفر المقالات التي تضمنها هذا التأليف الجماعي تغطية شاملة لأحداث عالمية شهدت سنوات الستينيات والسبعينات من القرن الماضي. وتشكل القاسم المشترك لها في الجزء الأول من سؤال يسعى إلى تناول مسار الشيخوخة لدى المناضلين، عبر تفكيك أسئلة أخرى من قبيل: احتمالات ديمومة النضال واستمراريته؟ وإمكانية نسيان تجربة طويلة من الالتزام القوي، أمام ضرورة الدخول في مواجهة مع تحديات أخرى مثل تكوين الأسرة ووجود الأبناء؟

وجاءت المقالة الأولى بعنوان: "تنوع نتائج المناضلين: دور الإيديولوجيا في تشكيل مسارات المشاركة"، فتناولت مسارات أفراد من جيل الستينيات والسبعينات من ذوي التوجهين اليساري واليميني، منطلقة من فرضية مفادها أن مقارنة مسارات المناضلين لها أهميتها في تقييم تأثير السياق الإيديولوجي على تشكيل مسارات المناضلين. وخلصت الدراسة إلى وجود فروقات واضحة بين التوجهين، إذ لا يميل اليمينيون إلى المشاركة ضمن الحركات الاحتجاجية، بينما نجد حضورا والتزاما قويا وسط مناضلي اليسار. كما يظل الارتباط المهني لأصحاب هذا التوجه الأخير شديد الصلة بالاقتراعات الإيديولوجية، فيرتبط معظمهم بمهن محددة في مجالات التدريس، والمحاماة أو المساعدة الاجتماعية، كما تصبح هذه المهن بدورها وسيلة لتعبئة الحركات الاجتماعية.

وتتبع الدراسة الثانية: "آثار السيرة الذاتية للنشطاء في فرنسا ماي 1968"، لدراسة مسار المناضلين ضمن فورات ماي 1968 بفرنسا، فخلصت إلى أن 42٪ من الأفراد المعنيين بالبحث دقوا تأثير المشاركة في هذه الأحداث على مسارهم المهني، وأكد حوالي 20٪ بأن التأثير ظل نسبيا. وبالمقابل نفى 38٪ من المستجوبين وجود أي تأثير. ورصدت دراسة أخرى ضمن هذا الجزء كذلك الحضور النسوي في النشاط السياسي، عبر تتبع مسار الحياة الخاصة بسيدات من المكسيك انتميتا إلى أصول اجتماعية مختلفة وخضعتا لتنشئة اجتماعية متباينة. غير أن قراءة استرجاعية في حياتها قد كشفت أنهما عاشتا مسارا متشابهة بل متطابقتا بشكل كبير على مر السنين. لقد تم تجنيدهما معا من قبل اليسار الثوري في نهاية عقد الثمانينات من القرن الماضي، قبل الابتعاد عن التجربة الحزبية، لكن دون التخلي عن النضال ضمن الحركات الاجتماعية المستقلة.

وركز القسم الثاني على حالات اصطدم فيها المناضلون بعنف شديد إما في سياق صراع مسلح، و/أو قمع قوي من قبل السلطة. وقد حاول الإجابة عن جملة من الإشكالات نذكر منها: كيف لهذا النوع من التجارب أن يصمم مسارات الأفراد؟ وكيف يمكن وقوع الانتقال من وضعية اجتماعية طبعها العنف والصدام إلى وضعية أخرى عادية؟ وماذا يعني الوضع العادي بعد التجربة العنيفة؟ وهل يمكن لمسارات نضالية بهذا الشكل أن تندمج في الأحزاب السياسية وممارسة العمل السياسي السلمي؟ وكيف يمكن لهذا الالتزام الجديد أن يتم، وضمن أية شرعية، وأية موارد، أو أي مهارات؟

وتناولت الدراسة الأولى في هذا القسم الثاني التجربة المغربية تحت عنوان: "آثار العمل النضالي على المسار الشخصي: جيل النشطاء خلال السبعينيات وأبناءؤهم بالمغرب." واستهدفت تحليل مدى تأثير سنوات النشاط النضالي العنيف على التنشئة الاجتماعية للمناضلين، وكيف بصمت مساراتهم الشخصية، خاصة علاقتهم بالأبناء. وأثارت هذه الدراسة اختلاف مسارات المناضلين بحكم تباين مواقف السلطة نحوهم، فسياستها تجاه دعاة التيار الماركسي اللينيني، ليست هي نفسها مع المتحمسين للتيار الإسلامي؛ إذ سمحت على سبيل المثال لأعضاء التيار الأول بمتابعة الدراسة داخل السجن. ولذلك تباينت المسارات لاحقاً، فاختر عدد من معتنقي التوجه الأخير، بعد قضاء مدد سجنية طويلة، وبحكم محدودية تكوينهم، التفرغ لبناء مسارهم المهني وتكوين أسرة، ثم ابتعدوا جملة وتفصيلاً عن أي التزام نضالي أو سياسي معين. بينما قرر أغلب عناصر التوجه اليساري مواصلة العمل النضالي عبر استثمار تكوينهم وخبراتهم للانتقال إلى العمل داخل الشرعية بتأسيس أحزاب سياسية (حالة منظمة العمل الديموقراطي الشعبي). واختار فريق آخر منهم مسار الالتزام بمواصلة النضال من داخل المجتمع المدني. وجدير بالذكر أن معظم هؤلاء حاولوا نقل تجربتهم النضالية إلى الأبناء؛ ومن مؤشرات ذلك مثلاً اختيار بعض الأسماء (جمال، ناجي، صبرا، عبد الكريم، تهاني، أمين..)، وتلقينهم بعض الاقتناعات والممارسات (الموقف من الدين، الصيام...).

وانصبت الدراسة الثانية وعنوانها: "من التشدد إلى النشاط: مسارات حياة نساء المقاتلين السيخ، Sikh"، على تناول حالة تمرد السيخ في ولاية البنجاب بالهند سنة 1984. وتحقق ذلك انطلاقاً من زاوية مهمة جداً همّت النساء اللائي شاركن كمجندات، فكانت هذه الدراسة عبارة عن حصيلة لسلسلة لقاءات جماعية وفردية امتدت ما بين 2001 و2009 وقد خلصت إلى مواجهة جل المشاركات تحديات هائلة في حياتهن العامة

والخاصة على حد سواء، ومن أكبرها صعوبة نسيانهم تلك المرحلة، على أمل طيّ صفحة ماضيهم النضالي، على الرغم من التغيير الكلي الذي شهده نمط حياتهم.

واتجهت الدراسة الثالثة في هذا القسم إلى تسليط الضوء لتناول تأثير قمع الدولة على الناشطين المنضوين تحت لواء الحركات المتطرفة في تركيا ما بين 1984-1991، مع التركيز على العوامل المفضية إلى فك الارتباط. وأكدت المقالة أن عملية الانفصال عن المنظمات المتطرفة كانت طويلة ومعقدة. وعلى الرغم من الضغط والقمع اللذان مارستها الدولة، كانت هناك عوامل عديدة تعزز ديمومة الولاء لهذه المنظمات، ومنها أساسا التنشئة الاجتماعية. وفك الارتباط هذا قد لا يتم في الأساس إلا مع حدوث تحولات تنظيمية أو شخصية؛ ومنها مثلا حالة الزواج أو وجود الأطفال التي قد تزيد من مخاطر المشاركة.

وانتهى هذا القسم بدراسة تناولت مسار النشاط السابقين ضمن الجيش الجمهوري الإيرلندي المؤقت، زمن الصراع في إيرلندا الشمالية 1968-1998. وكشفت على أن غالبية المناضلين لم يتفاعلوا إيجابا مع برامج إعادة الإدماج البريطانية، ومنها إلحاق الجمهوريين المنفصلين ضمن هياكل الدولة أو على الأقل تحويلهم إلى مواطنين خاضعين للدولة البريطانية. بيد أن الاستراتيجيات المعتمدة من قبل بريطانيا بغية احتواء العمليات المسلحة في إيرلندا الشمالية قد نجحت تدريجيا ومع مرور الزمن في التقليل من فرص انضمام المقاتلين المسلحين السابقين إلى الجماعات المسلحة مرة أخرى أو مواصلة حملات العنف.

وبحث القسم الثالث من هذا العمل في أبعاد ترتبط بتحول النشاط من الحركات الاجتماعية إلى الأحزاب السياسية. وارتبط البعد الأول بتداخل الحركات الاجتماعية والأحزاب السياسية على مستوى الفرص الوظيفية، أمام إمكانية تحول النشاط إلى موظفين، فتصبح المهارات المكتسبة في النضال عبارة عن قدرات قابلة للتوظيف في العمل السياسي. وقد تكون تلك فرصة مثالية للمناضلين المنحدرين من الأوساط الشعبية، ممن يحضون بفرص للارتقاء الاجتماعي لم تكن في متناولهم. وهو ما كشفت عنه مسارات مناضلي البرازيل المنتخبين في الحكومات المحلية أو المجالس الفيدرالية، أو حالة المزارع البولندي أندري لبيير (Andrzej Lepper) التي فصلت فيها دراسة ثانية ضمن هذا القسم، إذ أصبح هذا المزارع مشهوراً في أوائل التسعينيات، خلال الموجة الأولى من احتجاجات الفلاحين في بولونيا بعد انهيار الشيوعية، فحاول بعد ذلك استغلال الأمر

سياسياً، بالمشاركة في جميع الانتخابات الوطنية منذ عام 1993، لينجح في الانتخابات البرلمانية عام 2001، ويقود ثالث أكبر قوة سياسية في البلاد.

بيد أن هذه الحركية/الانتقال من وضعية مناضل/ناشط داخل حركة اجتماعية إلى مسؤول حزبي أو حكومي ليست بالتحول السهل. وفضلاً عن تواتر النعوت والاتهامات بالخيانة، تصطدم الإجراءات العملية والمعايير الأخلاقية للمناضل مع قواعد المجال السياسي. ومثال ذلك، فقدان المزارع البولندي المشار إليه أعلاه وبسرعة جميع امتيازاته السياسية. وبالتالي، فقد بدا أنه معزول مع مرور الوقت قبل إقدامه على الانتحار! وهي الخلاصة نفس التي انتهت إليها الدراسة الثالثة ضمن هذا القسم، فهتمت إدماج المقاتلين في صفوف المقاومة التشيكية ضمن النشاط السياسي في فترة ما بعد إسقاط الحكم الاستبدادي سنة 1989. إذ لم يسمح التأثير الطويل المدى لفعل المقاومة على هؤلاء من النجاح في العمليات الانتخابية المنظمة.

إبراهيم أيت إزي

باحث في التاريخ، مراکش